

مة القراء في قراءات الغرب الإسلامي

منذ القرن الخامس الهجري:

د. بلملياني بن عمر

جامعة تلمسان

مصطلح "القراءات" في ضوء العلم بالقراءات :

من مادة "قرأ" ¹ في اللغة تتحد دلالاتها على اختلاف فروقها في :

1- القُرء بالفتح الحيز و جمعه (أَقْرَأ) كأفراخ و (قُرِئ) كفلوس و (أَقْرَأُ) كأفلس، و القُرء

أيضا الطهر و هو من الأضداد .

2- قرأ الكتاب (قراءة) و (قرآنا) بالضم.

3- قرأ الشيء (قرآنا) بالضم أي جَمَعَهُ و ضَمَّهُ . ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور و يضمها ،

و قوله تعالى {إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ و قرآنه} ² أي قراءته. ³

4- و فلان (قَرَأ) عليك السلام و (أَقْرَأ) السلام، و جمع (القارئ قرأة) مثل (كافر و كَفَرَة).

و (القراء) بالضم و المد المتنسك، و قد يكون جمع قارئ. ⁴

5- مصطلح "القراءات" في "الإصطلاح العلمي مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به

إمام من الأئمة "القراء" مذهباً يخالف غيره". ⁵

6- أسانيد القراءات الثابتة و مرجعية الأئمة القراء. ⁶

أ- القراءات ثابتة بأسانيدھا إلى رسول الله ، صلى الله عليه و سلم .

ب- يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة،

فقد اشتهر "بالإقراء" أئمة منهم، أبي ، و علي، و زيد بن ثبت، و ابن مسعود، و أبو موسى الأشعري

وغيرهم. و عنهم أخذ كثير من الصحابة و التابعين في الأمصار، و كلهم يسند إلى رسول الله صلى الله

عليه و سلم.

7- في مصادر التاريخ و الترجمة :

أ- المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة (7) : عثمان ، و علي، و أبي، و زيد

بن ثابت، و أبو الدرداء ، و أبو موسى الأشعري، فيما ذكره الذهبي في "طبقات القراء". ⁷

ب- قد قرأ على "أبي" جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا.⁸

ج- أخذ عن هؤلاء الصحابة خلق كثير من التابعين في كل مصر من الأمصار. كان منهم "بالمدينة" ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان، وعطاء ابن يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.⁹

أما بمكة المكرمة فكان من قرائها "عبيد بن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة".¹⁰

و بالكوفة أيضا من أمثال "علقمة، والأنسود، وعبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، وعمرو بن ميمون، وأبي عبد الرحمن السلمي، وسعيد ابن جبير، والنخعي، والتخفي".¹¹ وبالْبصرة كذلك من أمثال "أبي عالية، وأبي رجاء، ونصر بن عاصم، وبيحيى ابن يعمر، والحسن، وابن سيرين و قتادة".¹²

و بالشام "المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وصاحب بن عثمان، وخليفة ابن سعد، وصاحب بن أبي الدرداء".¹³

* قراءات التابعين و تحولات أدائها :

و في عهد التابعين، ما إن حلت المائة الأولى و ما بعدها حتى برز التحول على رأسها، من قبل قراء المرحلة اللاحقة، و ظهرت معها تغيرات و طرائق في ضبط القراءة ضبطا تحذوه العناية التامة، التي بالرغم مما يبدو من سمات تماشي و التمهيدات القرائية الناشئة، ظلت مخلصه إلى المرجعية الصحابية وملتزمة بأصل الذي يحتكم إلى النمط المتواتر عن الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة رضوان الله عليهم. و السبب في ذلك مردّه إلى الحاجة الماسة إلى ذلك، و من ثمة تنامت العملية القرائية حتى صارت علما معتمدا يؤخذ به في قراءات القرآن الكريم، و بات لهذا العلم أئمة قراء بمثابة قبله يقصدها طالبوا هذا الشأن، هم المريدون على اختلاف ما ذهبوه من القراءات.

و من هذه الصفوة من الأئمة القراء تأسست أرضية القراءات على اختلاف طرائقها و تمايز مذاهبها، و كانت هذه الحقبة (رأس المائة الأولى من التابعين) هي المصدر الذي أمدّ هذه القضية أئمتها القراء على اختلاف مناحيهم، و منح تنوع المذاهب و الطرائق، دون الخروج عن الأصل و العمود المرجعي، و فجر طاقات من العلماء في القراءات، اشتهروا كأئمة معروفين، هم "الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات إلى اليوم".¹⁴

و من هؤلاء الأئمة السبعة الذين تنسب غليهم العلم بالقراءات السبع : أبو جعفر يزيد بن القعقاع (بالمدينة المنورة) ، و نافع بن عبد الرحمن (بالمدينة أيضا) و عبد الله بن كثير، و حميد بن قيس الأعرج (بمكة المكرمة)، و عاصم ابن ابي النجود، و سليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي (بالكوفة)، و عبد الله بن ابي إسحاق، و عيسى ابن عمرو، و أبو عمرو بن العلاء، و عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي (بالبصرة)، و بد الله بن عامر، و إسماعيل بن عبد الله المهاجر ثم يحيى بن الحارث، ثم شريح بن يزيد الحضرمي (بالشام).¹⁵

* صفوة الأئمة القراء السبعة المشهورون في العلم بالقراءات :

و المقصود الأئمة و اشتهروا في الآفاق : أبو عمرو، و نافع و عاصم، و حمزة، و الكسائي، و ابن عامر، و ابن كثير.¹⁶

* الفرق بين القراءات السبع (العلم بالقراءات) و الأحرف السبعة :

إنَّ القراءات هي "مذاهب أئمة، و هي باقية إجماعاً يقرأ بها الناس، و منشؤها اختلاف في اللهجات، و كيفية النطق بها و طرق الأداء من تخفيف و ترفيق، و إمالة، و إدغام، و إظهار، و إشباع، و مدّ، و قصر، و تشديد، و تخفيف ... إلخ، و جميعها في حرف واحد هو حرف قريش".¹⁷

و أمّا "الأحرف السبعة" فهي بخلاف ذلك على نحو ما سبق لك، و قد انتهى الأمر بما كانت عليه العرضة الأخيرة حين اتسعت الفتوحات، و لم يعد للاختلاف في الأحرف وجه خشية الفتنة و الفساد، فحمل الصحابة الناس في عهد عثمان على حرف واحد هو حرف قريش و كتبوا به انصاحف كما تقدّم".¹⁸

* كثرة القراء و السبب في الإقتصار على السبعة :

إنَّ القراءات السبع مشهورة و متفق عليها بالأئمة و المذاهب، و قد وقف العلماء (بالإختيار و الإعتماد) على أئمة القراءة و حصروهم (دون غيرهم) في ثلاثة "صحّت قراءتهم و تواترت، و هم : ابو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، و يعقوب ابن إسحاق الحضرمي، و خلف بن هشام. و هؤلاء أولئك هم أصحاب القراءات العشر. و ما عداها فشاذ كقراءة : البزيدي و الحسن، و الأعمش، و ابن جبير، و غيرهم. و لا تخلو إحدى القراءات العشر حتى السبع المشهورة من شواذ، فإنَّ فيها من ذلك أشياء، و اختيار القراء السبع إنما هو للعلماء المتأخرون في المائة الثالثة، و إلّا فقد كان الأئمة الموثوق بعلمهم كثيرين، و كان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة ابن عمر، و يعقوب، و بالكوفة على قراءة حمزة و عاصم، و بالشام على قراءة ابن عامر، و بمكة على قراءة ابن كثير، و بالمدينة على قراءة نافع، و كان هؤلاء هم

السبعة، فلما كان على رأس المائة الثالثة أثبت أبو بكر بن مجاهد اسم الكسائي، و حذف منهم اسم يعقوب".¹⁹

- رأي الإمام السيوطي :

قال : "أول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم أحمد جبير الكوفي، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب فالون، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الدجوني، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس في عصره و بعده بالتأليف في أنواعها جامعاً و مفوّداً، موجزاً و مسهباً، و أئمة القراءات لا تحصى، و قد صنف طبقاً لهم حافظ" الإسلام أبو عبد الله الذهبي، ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزري"²⁰.

- رأي الإمام الأول الجزري في النشر :

قال "أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، و جعلهم فيما أحسب خمسة و عشرين (25) قارئاً، مع هؤلاء السبعة، و توفي سنة 224هـ".²¹ و قال أيضاً : "وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، و توفي سنة 324هـ".²² و قال كذلك : "و إنما أظننا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي الشاطبية"²³.

* سبب الإقتصار على الأئمة القراء السبعة :²⁴

- تفاوت درجات القراء.

- كثرة عدد الرواة مع ضرورة ترتيب القراء و اعتماد أجلهم و أوثقهم و آمنهم .

- اعتماد ما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه و تنضبط القراءة به .

- تنويع الأخذ من كلّ مصر إماماً واحداً يتوفر على شروط العلم بالقراءات .

- الرواة عن الأئمة القراء "لم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات

ولا القراءة بما، كقراءة يعقوب الحضرمي و أبي جعفر المدني و شيبه بن نصاع و غيرهم".²⁵

- اقتصار المؤلفين في القراءات على عدد معين، من المشهورين، الأجل قدراً، مع وجود آخرين

من القراء الذين لا تقل منزلتهم عن هؤلاء . و الدليل على ذلك تصنيف ابن جبير المكي "كتاباً في القراءات

فاقتصر على خمسة، اختار من كلّ مصر إماماً، و إنما اقتصر على ذلك لأنّ المصاحف التي أرسلها عثمان

(ض) كانت خمسة إلى هذه الأمصار".²⁶

* وجوه القراءات (أنواع القراءات و حكمها و ضوابطها):

مع نضج الدراسات و تطور المناهج، تزامن العلم بالقراءات التي "حُصرت وجوهها و عيّنت مذاهبها"²⁷ و العلماء بجمعون "على أن القراءات متواترة و آحاد و شاذة، و جعلوا المتواتر السبع و الآحاد الثلاث المنتمية لعشرها ثم ما يكون من قراءات الصحابة ، رضي الله عنهم مما لا يوافق ذلك".²⁸ و ما بقي فهو شاذ.

و القياس عند العلماء في ضوابط القراءة الصحيحة "موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله ؛ لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها، و المصير إليها بالإسناد لا بالرأي، ثم يشترط في تلك القراءة أن توافق أحد المصاحف الخمسة العثمانية و لو احتمالا"²⁹ و أن تكون مع ذلك صحيحة الإسناد، فإن اجتمعت الأركان الثلاثة : موافقة العربية، و رسم المصحف، و صحة السند، فنلك هي القراءة الصحيحة، و متى اختل ركن منها أو أكثر أطلق عليها أنها ضعيفة أو شاذة أو باطلة؛ و لتجئ بعد ذلك عن كائن ما كان".³⁰

* أنواع القراءة :³¹

يجمع العلماء على جعل أنواع القراءات ستا (6):

1- المتواتر: و هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، و هذا هو الغالب في القراءات.

2- المشهور: ما صحّ سنده و لم يبلغ درجة التواتر، و وافق العربية و الرسم، و اشتهر عند القراء فلم يعنوه من الغلط و لا من الشذوذ، و ذكر العلماء في هذا النوع أن يقرأ به.

3- الآحاد: ما صحّ سنده، و خالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر بالإشتهار المذكور، و هذا لا يقرأ به.

4- الشاذ: ما لم يصحّ سنده/ كقراءة (ملك يوم الدين، الآية:4 من سورة الفاتحة) بصيغة الماضي و نصب (يوم).

5- الموضوع: ما لا اصل له .

6- المدرج: ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة ابن عباس (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحجّ فإذا افضتكم من عرفات 198/ البقرة فقلوه "في مواسم الحجّ" تفسير مدرج في الآية).

و الأنواع الأربعة الأخيرة لا يقرأ بها، و الجمهور على أن القراءات السبع متواترة، و أن غير

المتواتر المشهور لا تجوز القراءة به في الصلاة و لا في غيرها.

و العلم بالقراءات تفاصيل* لا يسعها مقام هذه الدراسة أشياء تظل من قريب أو من بعيد مواداً يتكامل فيها موضوع القراء و القراءات ، سواء على صعيد المرجعية الأصلية المتواترة و المشهورة عن الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة (ض) و التابعين، أو على صعيد المذاهب التي ذكرها مصنف ابن جبير المكي في القراءات، فاقصر على خمسة و اختار من كلّ مصر إماماً، و إنما اقتصر على ذلك لأنّ المصاحف التي أرسلها عثمان (ض) كانت خمسة إلى هذه الأمصار³² و من هنا ندرك ذلك. المبدأ الذي جاء من هذه المرجعية الأصلية المتواترة الموثقة إلى سائر الأمصار الإسلامية و منها المغرب الإسلامي الذي لم يكن مودعاً عن هذا الحدث الجليل، فيما يخصّ العلم بالقراءات على النحو الذي لا يخرج في الأصل عن المصدر الأول. و أمّا طرائق الأداء و مذاهب الأئمة القراء فقد حصل أيضاً بهذه الجهة، كما حصل بأصقاع الدولة الإسلامية التي كانت تعني أيما اعتناء بشرعة القراءات و كيفية أدائها دون الخروج عن الأسس الموثقة.

* القراءات و مذاهب الأئمة بالغرب الإسلامي ، منذ القرن الخامس الهجري :

بعد أن توطد العلم بالقراءات و نشأت القراءات النموذجية، المأخوذة أصلاً عن الرسول صلى الله عليه و سلم ، و الصحابة رضوان الله عليهم، و بعد فترة قصيرة برز بالمغرب الإسلامي "في كل من قرطبة و دانية إمامان عظيمان سيوقفان حياتهما لهذا العلم الذي سيحقق على يديهما ازدهار لا مثيل له. هذان العالمان هما : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القرطبي و أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني. و ما كان لهذين العالمين الجليلين أن يحزرا على هذا السبق إلا بإتباع منهج قاس في الدرس و التحليل ألزما أنفسهما به"³³.

و من هنا صار الغرب الإسلامي معنونا بمذنب العالمين في العلم بالقراءات لقاء ما هو جار في الشرق الإسلامي و مقابل ما هو معمول به في الأمصار الإسلامية في القراءات، و الذي اقتصر فيه على خمسة في العدد و المذاهب: قراءات و قراء و أمصار و أئمة³⁴. و المقصود بالعلونة نشأة المرجعية الإسلامية للعلم بالقراءة على يدي هذين العالمين بغرب الدولة الإسلامية، و بالذات - كما أسلفنا - في قرطبة و دانية، و "الذين صار لهما منهج في أداء القراءات. و لا شك أن كلّ من رجع إلى كتبهما تبين لهما له الشريعة الواضحة التي فجهاها في بسطهما لاختلاف القراءات"³⁵.

* شرعة أبي محمد القرطبي و أبي عمرو الداني في العلم بالقراءات في الغرب الإسلامي (منذ القرن 5هـ)

* منها الحديث عن القراءة "البدر" التامة بكلّ أحكامها و ضوابطها و القراءة الشاذة التي هي دون ذلك، انظر ص 59-77 قضايا المنهج في اللغة و الأدب التهامي الراحي الماشي و آخرون، دار توبقال ، الدار البيضاء، المغرب ، ط 1987/1.

إن شرعني هذين العالمين تقوم منهجيا في العلم بالقراءات على شقين ،

- الشق الأول : وفيه جمعوا "أصول هذا العلم، أصولا انضبطت تحت قواعد عامة تميز كل قارئ عن الآخر، و تجمع أصوله في النازلة و توضح اختياراته حول القضايا ذات الاتجاه الواحد، و هكذا أصبحت أصول القراءات في منهجهم هذا على هذا الشكل:

- 1- الإدغام الكبير .
- 2- إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة و في كلمتين.
- 3- هاء لكنائية.
- 4- المدّ و القصّر.
- 5- الهمزتان في كلمة.
- 6- الهمزتان في كلمتين .
- 7- الهمز المفرد .
- 8- وقف حمزة و هشام على الهمز.
- 9- الإظهار و الإدغام و فيه يعرض عادة :
أ- إدغام ذال "إذ" ب- إدغام دال "قد"، ج- إدغام تاء التأنيث،
د- إدغام لام "هل" و "بل" هـ- إدغام حروف قربت مخارجها .
- 10- أحكام النون الساكنة.
- 11- الفتح و الإمالة و بين اللفظين .
- 12- مذهب الكسائي في إمالة هاء التأنيث في الرفع.
- 13- مذاهبهم في القراءات.
- 14- مذاهبهم في اللامات.
- 15- الوقف على أواخر الكلم.
- 16- الوقف على مرسوم الخط.
- 17- مذاهبهم في ياءات الإضافة.
- 18- الياءات الزوائد.

* الشق الثاني : أفرد لما يسمى عندهم بالفرش، خاص لمختلف القراءات المفردة، التي لا تنضبط تحت أصل عام يتحكم فيها. و في هذا الصدد يدلي الأستاذ التهامي الراجي الهاشمي حول ما أنجز بالمغرب الإسلامي بقوله : "لقد أنجز هؤلاء الأوائل عملا جبارا، إنهم لم يكتفوا بإيجاد حلّ يضمن ضبط القراءة و يمهّد

لاستيعابها، و إنما أقاموا الأصول و خرجوها التخريج الملائم تارة لقواعد النحو العربي، و أخرى لأساليبهم في البلاغة ثالثة لاتجاههم المذهب في العقيدة"³⁶. و يردف قائلا : "و مع ذلك بقي هذا العلم منهم جدا في حاجة إلى منهج يسط عسره ، لاسيما و أنّ القراءات كثيرة قد تصل إلى ما فوق العشرين"³⁷. و يضيف قائلا: "فكيف يمكن للمقبل على القراءات - أيا كان ذكاؤه - استيعاب كل ذلك بغير ضابط يضبطها إلّا نصوص تتلى من صحيفة مع العلم أن القراءات هو العلم الوحيد الذي لا يحسن أن يعود فيه المرء إلى كتاب ليقرأ بالروايات الشرعية، القراءات نصّ يتعبد به حفظا من ذاكرة لا قراءة من كتاب أو مصحف أو أوراق".³⁸

* قراءات الغرب الإسلامي و المنهج المنوط بها :

إنّ المنهج الذي يلائم مذاهب القراءات، باعتبارها (أي العلم بالقراءات) تعبدية، تعتمد الحفظ من الذاكرة لا من الكتاب أو المصحف أو الأوراق، فإنّ الأخذ بمعادلة (علم الفهم) و (علم الحفظ) تبقى العامل الذي يرشد القارئ إلى الغايات المضبوطة بقواعدها و أوصافها المختلفة، و إن تعددت و كثرت، و على هذا "كان لا بد من إيجاد منهج يلائم هذا النوع من العلوم التي تعتمد، بالدرجة الأولى على الحفظ، فليكن "مذهب تقوية الذاكرة"³⁹ / "Méthode mémotechnique".

و ما ينبغي التنبه إليه في هذا الأمر، هو عدم تقديم الطعن لعلم الحفظ و ما دأب عليه المسلمون الأوائل في ترتيب شؤونهم و الوصول إلى ضبط مسائلهم على هذا النحو، الذي يجب فهمه في سياق ما يجاريه أبدا من علم الفهم (الذكاء) الذي كان العامل المنطقي الذي يسير الأعمال من بداياتها إلى نهاياتها، ثم الوقوف على نتائج إيجابية، بناء نافعة، لا زلنا نلمسها في التراث المخلف و في ممارساتنا التي لا غنى لنا فيها عن النماذج أو الأنماط الأصلية (Prototypes) التي تحفظ لنا (السّنن) على الوجه المرجعي اليقين، و بخاصة في مثل العلم بالقراءات التي تحتل الصفة التعبدية لكلّ ما تحمله الكلمة من معان

و من هنا يتعين فهم المسألة و مقاصدها بين العلوم التعبدية و منها العلم بالقراءات و العلوم اللاتعبدية، و تسخير ما يناسب كلّ علم من منهج لائق، تلمس نظرياته و مقارباته، و آفاقه و أبعاده في المجالات الحقلية التي ينسجم معها أو لا ينسجم. غير "أنّ القراءات، و هو علم يتوقف على الذاكرة بالدرجة الأولى، و على حسن استعمال الخلاف الكثير الموجود بين النصوص المتنوعة التي يجب أن تحفظ عن ظهر قلب لا بدّ أن يعتمد فيها على منهج "فنّ تقوية الذاكرة، و كان ما أراد أئمة القراء"⁴⁰.

و أمّا من فطن لهذا المنهج و ثقف سرّه في العلم بالقراءات بالمغرب الإسلامي، فعكف على تأسيس ما يعين قرّاء المسلمين بدليل يمشون على هديه، لأداء القراءات و إتقانها على أساس قواعد العلم بالقراءات ، بكيفية لا يجدون معها صعوبة و لا إشكالا ، هذا العالم هو أبو محمد بن أبي القاسم ابن

خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي من علماء القرن السادس الهجري الذي وصف ذلك الأمر في مؤلفه الموسوم بـ "حرز الأمانى و وجد النهائي"، منهج أئمة القراء الغرب الإسلامي وصفا دقيقا ثم أتبعه بتحليل و تحريج و توجيه للقراءات التي أصبحت بعده، بفضل منهجه هذا، سهلة ميسرة يتقنها كل من عقد العزم على ذلك".⁴¹

* في بيان منهج القراءات لدى أئمة هؤلاء الأئمة القراء :

مبدئيا إن القراءات المتواترة سبغ على المشهور، و أن لكل قارئ راويين و بهذا يكون عدد الذين يعتمدون في هذا القبيل (21) إماما :⁴² فهؤلاء مع انتمائهم إلى الإقليم الغربي من الدولة الإسلامية، فإنهم "قد يتفوقون على قراءة واحدة و قد يختلفون اختلافا مفرعا، بمعنى أنه قد ينفرد قارئ أو راو واحد بقراءة، و يختلف معه الآخرون، و قد يتفق إثنان و يخرج الباقيون . و قد يتفق ثلاثة و يختلف معهم ما عداهم يتفق أربعة و يختلف معهم ما سواهم، بل قد لا يخرج عن الاتفاق إلا قارئان أو إلا قارئ واحد"⁴³ . و تحمل أحوال هؤلاء في القراءات في (34) حالة :⁴⁴

* الإمام الشاطبي و إحصاؤه أحوال القراءات في القرآن و ضبطها و نظمها شعرا :⁴⁵

1- الكلمات السبع الآتية : أْبَجْ/ذَهْز/حْطِي / كَلَم / نَصْع / فُضُق/رِسْت/مَشِيرَا بالحرف الأول

من الكلمات السبع السابقة إلى القارئ البدر.⁴⁶

2- تصدي للرمز الذي يشير إلى جماعة البدور الذين يتفوقون أو يختلفون، فخص :

- الكوفيين بالشاء المثلثة.

- البدور الستة غير نافع بالخاء المعجمة.

- الكوفيين حين يتفوقون مع ابن كثير عامر الشامي بالذال.

- الكوفيين حين يتفوقون مع ابن كثير المكي بالطاء.

- الكوفيين حين يتفوقون مع ابي عمرو البصري بالغين.

- حمزة و الكسائي حين اتفقا هما بالشين.

* و قد أشار إلى الطوائف الثلاث الأولى بقوله شعرا :

وَ مِنْهُمْ لِلْكَوْفِيِّ نَاءٌ مُثَلَّثٌ .: وَ سَتَّيْهُمْ بِالْخَاءِ لَيْنٌ بِأَغْفَلًا

عَنِّيْتُ الْأُولَى أَتَّبَعْتُهُمْ بَعْدَ نَافِعٍ .: وَ كُوفٍ وَ شَامٍ ذَالُهُمْ لَيْنٌ بِأَغْفَلًا

* و أشار إلى الطوائف الثلاث الثانية حيث يقول :

وَ كُوفٍ مَعَ الْمَكِّيِّ بِالْظَّاءِ مَعْجَمًا .: وَ كُوفٍ وَ بَصْرٍ غَيْنُهُمْ لَيْسَ مَهْمَلًا

وَ ذُ النقط شين للكسائي و حمزة .

و بهذا يكون قد أنهى ما تبقى من "أبا جاد" الذي التزمه و ما تبقى هو تخذ/ظغش / نظم أحد المغاربة لاقراء المتأخرين هذه الرموز في بيت شعري فقال :

ظفرند غفرنج شفر ذفرنك ثفرن خد حكنفر

* ثم تصدّى لمجموعات أخرى اتفق أصحابها في القراءة أو اختلفوا فخصّ :

- الراوي شعبة حين يتفق مع الكسائي و حمزة باللفظ " صحبة .

- الراوي حفص حين يتفق مع الكسائي و حمزة باللفظ : صحاب .

- الراوي نافع حين يتفق مع البدر ابن عامر باللفظ : عم .

- للبدر الثلاثة الأولى نافع و ابن كثير و ابي عمرو باللفظ : سما .

- للبدر ابن كثير حين يتفق مع البدر أبي عمرو البصري اللفظ : حقّ .

- لاتفاق ابن كثير و أبي عمرو و ابن عامر اللفظ : نفر .

- لاتفاق نافع مع ابن كثير اللفظ : حرمي .-

- لاتفاق نافع مع الكوفيين اللفظ : حصن .

* و يجمع الإمام الشاطبي رموزه هذه في أبيات يسهل حفظها فيقول : "صحاب" مع حفصهم "عمّ" "نافع" و شام "سما" في نافع و فتي العلّا و مكّ "حقّ" فيه و ابن العَلاَقْل "و قل فيهما واليحصي "نفرّ" حَلاّ و "حَرْمِيّ" المكّي فيه و نافع "و "حصنّ" عن الكوفي و نافعهم عَلّا .
* منهج الائمة القراء المغاربة في تغطية الأداء في العلم بالقراءات : 47

و نستخلص هذا ممّا صنعه أئمة القراء المغاربة ، فكان ذلك الأداء مذهبا خاصا بهم، على غرار ما يقابله في الأمصار الإسلامية الأخرى، كما ذكرنا سابقا . و يتمثل هذا الصنيع في صياغة الرموز الصعبة المركبة في القلب الذي يعرف في المغرب "بالنصّ" "تنصت" بتشليح تسهيلا لفظها . و في هذا قال أحد الأئمة المغاربة (من القراء) المتأخرين شعرا :

حَقَّ لِحَدُّثُكُمْ كَذَخْ نَفَرٌ .: أَدَخْ سَمَا أَكْ لِعَمِّ أَخْبِرُوا

عَرَفَ صَحَابًا ثُمَّ صَحْبَةً صَرَفَ .: أَدَّ لِحَرَمِيٍّ وَ حِصْنٍ أُنْرِفَ

* الشروط الواجب توفرها في منهج قراءات الغرب الإسلامي :

يتضح ذلك في إشارته في قوله : 48

و ما كان ذا ضِدٍّ فَإِنِّي بَضْدَهُ .: عَنِي فَرَحَمٌ بِالذِّكَاءِ لَتَفَضُّلَا

فهو في هذه الإشارة يقدّم اصطلاحه في عبارات وجوه القراءات، و هو يطلعنّا الآن بواسطة هذا القانون أنّ كلّ وجه له ضِدٌّ واحد، سواء كان عقليا أو اصطلاحيا، لذا يستغني بذكر أحد الضدين عن

الآخر لدلالته عليه، فيكون من سمي يقرأ بضدّها ما ذكره. و معلوم أن الأضداد في القراءات القرآنية - ولعلّها في جميع العلوم - تنقسم إلى قسمين أحدهما ما يعلم من جهة العقل، و الثاني ما يعلم من جهة اصطلاحية، ثم هي تنقسم إلى قسمين آخرين .

1- منها ما يطرد و ينعكس: أي كلّ واحد من الضدّين يدلّ على الآخر.

2- و منها ما يطرد و لا ينعكس .

و أما تطبيق هذا المنهج في واقع قراءات الغرب الإسلامي، فهي محصورة في الأبواب التالية: ⁴⁹

أ- المدّ في المنهج ضدّ القصر : (من ذلك مثلاً "باب الهمزتين من كلمة").

ب- الإثبات في المنهج ضدّ الحذف : (في مثل "يا بشره" من سورة يوسف /19).

ج- الإدغام في المنهج ضدّ الإظهار : (في مثل "الملأ" من سورة الكهف /95).

د- الهمز في المنهج ضدّ ترك الهمز : (من سورة النمل / 44).

هـ- النقل في المنهج ضدّ عدم النقل أي إثبات الهمزة (في مثل "قرآن الفجر" الإسراء/78).

و- اختلاس الحركة و هو إكمال الحركة : في مثل "بارئكم" من سورة البقرة/54.

* و يخلص الأساذ التهامي الراجي الهاشمي القضية المنهجية في أداء الأئمة المغاربة في ثلاثة أمور :
- الأمر الأول : "هذه الرموز على كثرتها و تعقيدها و صعوبة النص الذي تحلله لم تنسد رغم

الضيق القاتل الذي فرضته على الشاعر - جمال النظم و وضوحه و صدقه إذ يقول: ⁵⁰

أهلت فلبتها المعاني لبأها . و صغت بها ما صاغ عذب مسلسل

* الأمر الثاني : هذه الواو الفاصلة التي وقف إلى توظيفها للأغراض التي أشرت إليها بكلّ بسرعة، لم تكن واو عطف فقط، فيسهل ترويضها، و لكن : قد تكون أيضاً حرفاً أصلياً، و هذا من عجائب ما أتى به ⁵¹

- الأمر الثالث : إنّ هذا الرجل الذي أتى بهذه العجائب مؤسساً منها قوماً خالداً لدراسة

القرآن و التعرف على أسرارهِ كان رحمه الله أعمى. و هذا من أعجب العجائب. ⁵²

و بهذه الحقائق الواردة في هذه الدراسة ترسم المعالم المنهجية، في أداء الأئمة القراء المغاربة، بدءاً من القرن الخامس الهجري، و لعلّ الغاية من هذا الموضوع هو إحالة القارئ و حثه على النظر في هذا الجانب المخوج إلى البحث و التعرف على أسرارهِ، التي لا تقل أهمية علمية و لا منهجية عن مثيلاتها في الأمصار الإسلامية الأخرى، و في المذاهب المتوخاة من قبل أصحابها. و إذا كانت أوجه القراءات تقدم لنا اختلافات ملتزمة في الأداء، فإنها إنما تختلف لتلتقي حول حقيقة قراءة القرآن الكريم القراءة المتواترة الجذيرة به.

الهوامش:

- 1- مادة (قرأ) مختار للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، تخريج د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة و النشر (ط.4) ، الجزائر، 1990، ص 336.
- 2- سورة القيامة /17. وردت شاهدا على مادة (قرأ - قراءة - قرأنا) ص 336، المصدر السابق.
- 3- المصدر نفسه ، ص 336.
- 4- المصدر نفسه، ص 336 و انظر أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ، (مادة قرأ).
- 5- مبحث في علوم القرآن : كنّاع القطّان ، مؤسسة الرسالة (ط.4، بيروت ، لبنان 1400هـ - 1980م).
- 6- نفسه، ص : 170.
- 7 المرجع نفسه ، ص : 170.
- 8- المرجع نفسه، ص : 170.
- 9- المرجع نفسه، ص : 170- 171.
- 10- ص 171 مباحث في علوم القرآن ⇐ (قراء مكة).
- 11- ص 171 ، نفسه ⇐ (قراء الكوفة).
- 12- ص 171 ، نفسه ⇐ (قراء البصرة).
- 13- ص 171 مباحث في علوم القرآن ⇐ (قراء الشام).
- 14- ص 171 ، نفسه ⇐ (الأئمة القراء اسبعة المشهورون)..
- 15- ص 171 ، نفسه ⇐ (الأئمة القراء بالمدينة و مكة و الكوفة و البصرة، و الشام).
- 16- انظر ج 72/2-73 الإتقان في علوم القرآن ، ص 171- 175 مباحث في علوم القرآن .
- 17- انظر ج 72/2-72، المصدر نفسه، و انظر ص : 172 المرجع نفسه.
- 18- انظر 72/2-73 المصدر نفسه، و انظر ص 172 المرجع نفسه.
- 19- انظر ج 72/2-73 المصدر نفسه، و انظر ص 272 المرجع نفسه، و أبو بكر ابن مجاهد مقرئ أهل العراق، و ممن ألفوا في هذا الفن، و كان من المتقنين، توفي سنة 423هـ، و انظر الإتقان 73 هجرية، ج 65/1 تفسير الطبري، و انظر 46-129 إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، 1963.
- 20- ص 73 هجرية الإتقان في علوم القرآن، ص 173 مباحث في علوم القرآن.
- 21- ج 65/1 تفسير الطبري ، جامع البيان، ص 173، مباحث في علوم القرآن، و "النشر" في القراءات العشر، أشهر كتب ابن الجزري ، شيخ القراء في زمانه (محمد بن محمد أبو الخير شمس الدين (ت833هـ) ، هامش 2 مباحث في علوم القرآن).
- 22- الصفات السابق، الكتب السابقة.

- 23- الصفحات نفسها، الكتب نفسها، و الشاطبية هي المنظومة المنسوبة إلى الإمام أبي محمد القاسم الشاطبي (ت590 هـ)، نظم فيها كتاب التيسير في (1173 بيتاً) و سماها "حز الأمان و وجه التهاني في القراءات السبع الثاني ؟ و كتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني من أئمة القراء (ت444هـ).
- 24- الصفحات نفسها، الكتب نفسها، ص 173 مباحث في علوم القرآن.
- 25- ص 173-174 مباحث في علوم القرآن، و انظر 46-129 إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر 1963.
- 26- ص 174 مباحث في علوم القرآن، و انظر 46-129، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية.
- 27- ص 54 إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص 175 مباحث في علوم القرآن.
- 28- ص 55 المرجع السابق، ص 175 المرجع السابق.
- 29- ص 55-56 المرجع السابق، و انظر الهامش 2 المرجع السابق.
- 30- ص 55-56 إعجاز القرآن السابق، و اظر ص 46-129 المرجع السابق.
- 31- ص 175-179 مباحث في علوم القرآن، و انظر 46-129 إعجاز القرآن و البلاغة النبوية.
- 32- ج1/81 الإنتقان، و انظر 174 مباحث في علوم القرآن، ص 46-129 إعجاز القرآن، الرافعي، و المقصود بالقراءة المرجعية الموثقة المشهورة لقراءة النموذجية و تعرف بقراءة (البدن) و هي التامة المتكاملة المحكمة و إلا فهي (شاذة)، انظر ص 59 - 77 قضايا المنهج في اللغة و الأدب. التهامي الراحي الهاشمي و آخرون، دار توبقال . الدار البيضاء، المغرب ط1/1987.
- 33- ص 66 قضايا المنهج التهامي الراحي الهاشمي، و انظر ص 119 - 196 مباحث في علوم القرآن . ص 46-29، إعجاز القرآن، الرافعي، ج2/167-171، 41، 47، 81، 82، 100، 186 الإنتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1/53، 58، 342، 461، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت794هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر 1957.
- 34- ص 56 قضايا المنهج في اللغة و الأدب، (دراسة التهامي الراحي الهاشمي).
- 35- ج1/80، 81 الإنتقان في علم القرآن، السيوطي، ص 174 مباحث في علوم القرآن.
- 36- ص 66، قضايا المنهج في اللغة و الأدب.
- 37- ص 66 المرجع السابق.
- 38- ص 66-67 المرجع نفسه.
- 39- ص 67، المرجع نفسه، و منهج مذهب "فن تقوية الذاكرة" *Mémotechnique* يأخذ بميزان علم الفهم (الذكاء) و (علم الحفظ) معا، في قوة موحدة مقتدرة.
- 40- ص 67 المرجع نفسه، في مدى ملائمة منهجن مذهب تقوية الذاكرة للقراءات.
- 41- ص 68 المرجع السابق، في إشارة إلى مؤسس منهج الغرب الإسلامي.
- 42- ص 68، المرجع نفسه.
- 43- ص 68، المرجع نفسه.

- 44- ص 68، المرجع نفسه.
- 45- ص 70، المرجع نفسه، "دليل الشاطبي في العلم بالقراءات"، و انظر * : كتاب الإمام الشاطبي (538-609هـ) الموسوم ب: "حزر الأمانى و وجد التهانى" 20/2 الترجمة رقم 2600 في غاية النهاية.
- 46- ص 68 المرجع نفسه، أصبحت الهمزة تشير إلى القارئ البدر نافع المدني.
- 47- انظر ص 70-71، قضيا المنهج في اللغة و الأدب.
- 48- انظر ص 71 المرجع السابق، و انظر "حيز الأمانى و وجد التجاني للإمام الشاطبي، و انظر ج 20/2 الترجمة رقم 2600 في غاية النهاية ."
- 49- المصطلحات نفسها، الكتب السابقة (ص : 71-77 قضايا المنهج للتهامي الراجي).
- 50- ص 76-77 قضايا المنهج (دراسة التهامي الراجي الماشي).
- 51- ص 76-77، المرجع السابق.
- 52- ص 76-77، المرجع نفسه.

